العرب
الجمعة 2021/02/26
السنة 43 العدد 11983

السينما المصرية تطرق أبواب الخيال العلمي مجددا

«آخر نيزك» تناول ثلاثي الأبعاد لصراع الروبوت والإنسان

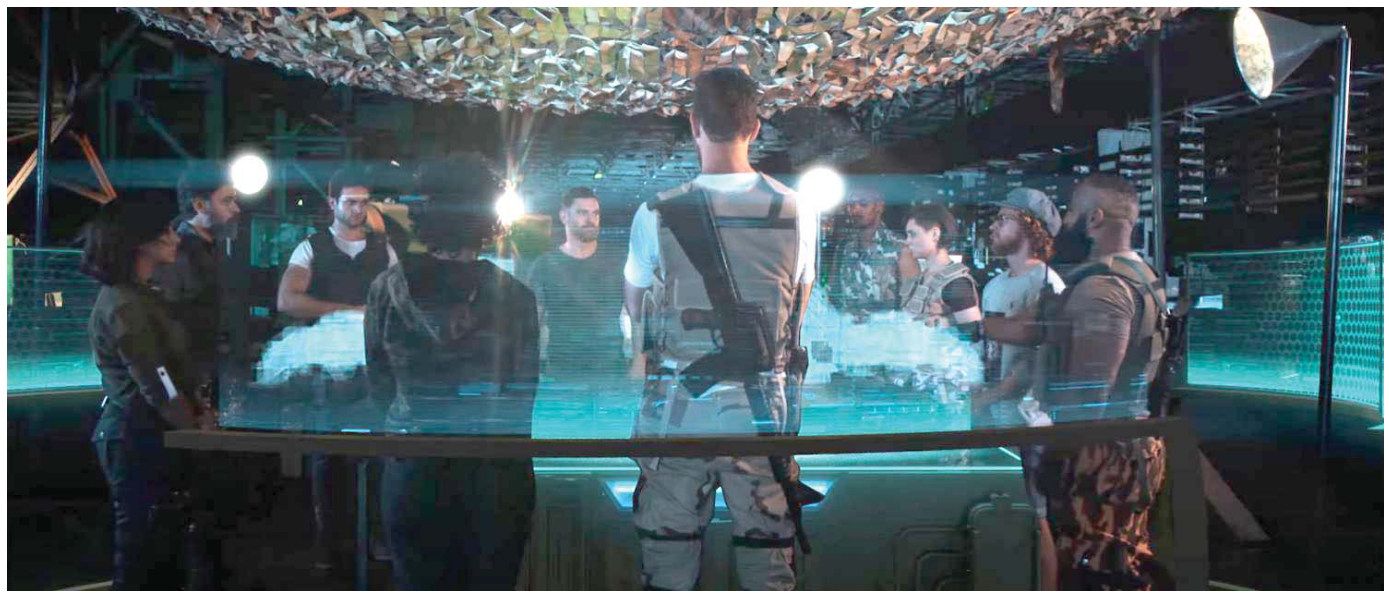

«آخر نيزك» خيال علمي مصري ينذر بنهاية العالم

على مدار سبعين عاما، تسعى السينما المصرية نحو طرق أبواب الخيال العلمي بأعمال لم تتعدّ مساحات التجريب، حمل بعضها أفكارا جيدة ضاعت في متاهة التنفيذ والجودة، وسيطر الهدف التجاري على المضمون، فأفرزت مجموعة من الأجنة المشوّهة التي يفتقر بعضها لأساسيات الفيلم السينمائي القيّم.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهرة – تحتاج أفلام الخيال العلمي إلى مؤهلات مختلفة على مستوى كتابة السيناريو تراعي الحقائق الثابتة، والخيال الخصب، بجانب جيش من المصوّرين ومصمّمي الغرافيك لتحويل تلك الأحلام إلى مرآة تأسر العقول، مع إلمام كاف بالفرق بين الخيال المقيّد بقواعد العلم وقوانينه، والفانتازيا التي تصنع قوانينها الخاصة من الألف إلى الياء.

ويجري حاليا تصوير المقاطع النهائية لفيلم "آخر نيزك"، الذي يعدّ التجربة المصرية الأولى للإنتاج ثلاثي الأبعاد، ويتحدّث عن نهاية العالم وتحرّر التطوّر التكنولوجي من السيطرة، لتدخل الروبوتات في صراع مع البشرية، وهي قصة كلاسيكية من أدبيات السينما الأميركية، لكنّ منتجيه يراهنون على معالجة مختلفة.

يعتمد "آخر نيزك" على مجموعة من ممثلي الصفين الثاني والثالث مثل محمد عز وحمزة العيلي وأحمد عبدالله محمود ومنة فضالي، وكلهم لا يحملون تجارب ناجحة مع الجمهور في شباك التذاكر، ما يشي بحجم الصعوبات التي سوف يواجهها الفيلم عند توزيعه في دور السينما، التي تضع في حساباتها وجود أسماء شهيرة قادرة على دغدغة مشاعر الجماهير وجذبهم إلى رحابها.

صور مكرّرة

لم تتعدّ الصور التي تم تسريبها من العمل عن إنسان آلي معدني قريب الشبه بسلسلة "المدمر" لأرنولد شوارزنيغر، وأخرى من الخلف لفتاة ترتدي ملابس حربية، ويحاول القائمون على العمل في جو من السرية التقليل من موجة المقارنة المتوقعة من الجمهور بالأعمال الأميركية، حتى لا يؤثّر على أداء الممثلين وإلى حين إنهاء التصوير الذي يتم بمدينة الإنتاج الإعلامي في مدينة السادس من أكتوبر بالجيزة المتاخمة للقاهرة.

ولا يخشى "آخر نيزك" الذي تنتجه شركة "لايت إينجن"، من المقارنة مع الخارج فقط، لكن مع مسلسل "النهاية" للفنان يوسف الشريف الذي قدّمه في الموسم الرمضاني الماضي، وتناول صراعات الروبوت أيضا والبشر، مع لمحة سياسية تتعلّق بربط القصة بمدينة القدس في المستقبل، وهو ما يدخلهما في مقارنة صعبة على مستوى الصورة والتمثيل وطبيعة التناول والأداء، في ظل امتلاك العمل الدرامي أسماء لها جماهيرية كبيرة وشركات أكبر على مستوى الإنتاج، وحبكة فنية جيدة.

ويدخل الفيلم أيضا في منافسة مع فيلم "موسى" الذي تم الإعلان عن مقطع تشويقي له في سبتمبر الماضي، من تأليف وإخراج بيتر ميمي، وتم تأجيل عرضه بسبب تداعيات وباء كورونا، ويدور حول طالب في كلية هندسة يخترع إنسانا آليا يساعده في أمور شخصية، لكن الأمور تتعقّد وتخرج عن السيطرة، وتتحوّل المدينة بالكامل إلى أجواء ظلامية وحالة من الفوضى الكاملة.

وتحتاج أفلام الخيال العلمي إلى إنفاق سخي على المؤثرات الصوتية والبصرية، ومنطقية الحبكة والتبرير، كي تصل بالمشاهدين إلى الاقتناع بأحداث وشخصيات بعيدة عن واقعهم، وأحداث ربما لن تغادر العوالم الافتراضية التي نسجتها، وكلما كانت تلك التركيبة منطقية ومنسجمة مع بعضها، كلما سجّلت تقييما أعلى من قبل النقاد والجمهور.

ولا تزال أعمال الخيال العلمي مثار جدل كبير بين المنتجين وكاتبي السيناريو في مصر، الذين يتهمون الإنتاج بالسعي وراء الربح السريع فقط من القصص ذات المضامين الخفيفة من دون محاولة تسجيل قيمة مضافة للسينما، بينما يؤكّد المنتجون أن الأوراق التي ترد إليهم ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى إنفاق أموال عليها ومآلها الفشل.

ويعزو المخرج أحمد عوض، أسباب إحجام الإنتاج المصري عن مجال الخيال العلمي إلى اختلال منظومة الإنتاج تحديدا، فثمانون في المئة من الميزانية يتم توجيهها لصالح أجر البطل الأول، والباقي للعمل ذاته، وهي معادلة لا تسمح بإخراج فيلم خيال علمي قوي يحتاج إلى إنفاق كبير على التصوير والمؤثرات.

وطرح عوض، الذي درس الإخراج والتأليف في الولايات المتحدة، قبل عامين عملا بعنوان "الفيلم"، جذب المقطع الدعائي له الأنظار، بكم الأطباق الفضائية والطائرات الحربية التي يضمّها، معتمدا على المؤثرات لتعويض الإنتاج الضعيف الذي دفعه إلى الاستعانة بفريق كامل من العمل لم يسبق لأي من عناصره التمثيل، لكنه لم يجد فرصة في دور العرض بخلوّه من النجوم الكبار.

وأوضح عوض لـ"العرب"، أنه عندما قرّر الاستعانة بنجم من الصف الأول في العمل، فوجئ برغبته في التدخل بجميع التفاصيل التي تخدم دوره، بصرف النظر عن تأثيرها السلبي على القصة الأصلية، وسعيه لاقتناص الجمل الحوارية التي يفترض أن تترك بصمة مع الجمهور على حساب باقي الممثلين، واشترط ترشيح بطلة مشهورة تلعب الدور أمامه.

> أفلام الخيال العلمي تحتاج إلى إنفاق سخي على المؤثرات الصوتية والبصرية، ومنطقية الحبكة كي تقنع المشاهد

وعقد المخرج مقارنة توضّح مساحة الفوارق الشاسعة بين إنتاج أفلام الخيال العلمي الحقيقية والأخرى المزيفة، فعلى مستوى الغرافيك يصقل العاملون المحترفون خبراتهم بصورة شهرية ويضيفون الجديد باستمرار، حتى وصل الأمر إلى استحداث مُنتج غرافيك متخصّص يحضر جلسات التصوير باستمرار، ويضع رؤيته لكيفية التقاط المشاهد والزاوية والشكل، وتصوير المشهد الواحد بست كاميرات دفعة واحدة، فضلا عن تخصيص فريق كامل لإنتاج المقطع الدعائي فقط بعيدا عن الفريق الأصلي، لاختيار أفضل مقاطعه القادرة على ترويجه وجذب الجمهور.

ويشكو منتجو أفلام الخيال العلمي من ترصد الجمهور لأعمالهم والتي تجعل من يقبل عليها يتلمّس خطواته، فالمشاهدون يتبارون في إظهار الأخطاء والسلبيات وإغفال المزايا، مع خلط الجمهور بين الخيال العلمي و"الساركيزم" الذي يهدف إلى السخرية اللاذعة مثل فيلم "سينما علي بابا" للفنان أحمد مكي، والذي كان هدفه التهكّم فقط وتعرض لانتقادات حادة لعدم التقاط الجمهور لفكرته.

وتعود بداية إنتاج أفلام الخيال العلمي في السينما المصرية إلى حقبة الخمسينات التي شهدت أعمالا مثل "رحلة إلى القمر" إنتاج عام 1959، بطولة إسماعيل ياسين ورشدي أباظة، وفيلم "السبع أفندي" بطولة سعيد أبوبكر وشادية، وتلتها سلسلة أعمال في الستينات، مثل "أخلاق للبيع" لمحمود ذوالفقار وفاتن حمامة، وغلب عليها الطابع الكوميدي الهزلي، رغم خصوبة فكرة "السبع أفندي" عن رجل يستطيع المرور من الحوائط، و"أخلاق للبيع" عن تحويل القيم الإيجابية لأدوية يمكن تناولها.

سذاجة سينمائية

عانت الأعمال المصرية من مشكلة تقديم الفضاء الخارجي من بوابة الجنس والغناء فقط، وليس كمادة علمية أو صورة براقة تستطيع جذب الأنظار، ففي "رحلة إلى القمر" الذي تخيّل طاقمه نزول أول مصريين على سطح القمر، تحوّل فجأة إلى رحلة لجلب فضائيات حسناوات يرتدين الملابس التي تكشف مفاتنهنّ فقط، وفي "المجانين الثلاثة" بطولة نجلاء فتحي، عن تجارب إطالة عمر الإنسان إلى الأبد، لم يتعد العمل تجميع اسكتشات غنائية لثلاثي أضواء المسرح (سمير غانم وجورج سيدهم والضيف أحمد) وتركيب قصة على مقاسها.

وكان فيلم "مملكة الحب" لحسين فهمي، هو المحاولة الأولى لإنتاج فيلم خيال علمي غير كوميدي، عن سعي مجموعة من المستكشفين للعثور على قارة أتلانتس المفقودة، لكنه أسرف في المضمون الجنسي عبر سلسلة مشاهد فجة بين البطل والفنانة ناهد يسري التي لعبت دور ملكة أتلانتس، بما يتماشى مع سينما مرحلة الثمانينات التي غلب عليها المضمون شديد الجرأة.

ويمثل الخلط بين الفانتازيا والخيال العلمي مشكلة مزمنة في السينما المصرية، والتي تعرّضها عادة إلى قصف من الجمهور الشبابي المتفتح، فالفانتازيا تسمح لمؤلفها خلق عوالم جديدة وابتكار قواعد متكاملة حتى لو كانت تخالف الأعراف العلمية الراسخة، على عكس الخيال العلمي الذي يقيّد مساحة التحرّك داخله بالاتساق مع علوم الطبيعة والفضاء، ويحتاج إلى مراجعة دقيقة قبل كتابة كل تفصيلة أو تخيّل لأي مشهد.

ورغم قلة أعداد الأعمال المصرية التي دارت في فلك الخيال العلمي، لكن لم تكن كفيلة بالتحرّر من تكرار الأفكار، ففكرة تعبئة الأخلاق تم تكرارها في فيلمين، أحدهما لمحمود ذوالفقار والثاني لفؤاد المهندس، وفكرة السفر عبر الزمن تم تقديمها بصورة كوميدية هزلية في عملي "الغسالة"، و"سمير وشهير وبهير"، غير أن هذه المحاولات الساذجة لم تمنع وجود تجارب جيدة مثل فيلم "قاهر الزمن" للفنان نور الشريف، حول تجميد جثث المرضى، أملا في اكتشاف علاج لأوجاعهم مستقبلا.

وتظل مصادفة السينما المصرية للنجاح في تقديم أعمال عن الخيال العلمي مرهونة بالقصة التي تتم معالجتها، والتوقّف عن التعامل مع الجمهور على أنه قطعة إسفنج ستمتصّ المضمون الذي يقدّم، وهي مشكلة مزمنة لا ترتبط بالخيال العلمي فقط، لكن بغالبية الأعمال المقدّمة التي تخاطب الجمهور بطريقة "شاهد.. اقتنع.. ولا تعلّق".

مسلسل «النهاية» نجح في الجمع بين الخيال العلمي والمنحى السياسي

هل يكون الخيال العلمي مستقبل المسرح التونسي

تونس – احتضنت مدينة الثقافة الشاذلي القليبي مؤخرا بفضاء مسرح الجهات العرض قبل الأول لمسرحية "الوحش" التي جاءت بإنتاج مشترك بين مسرح الأوبرا ومركز الفنون الدرامية والركحية ببن عروس.

"الوحش" هي عمل مسرحي مقتبس من كتاب "الوحش" للكاتبة المجريّة آغوتا كريستوف، دراماتورجيا وسينوغرافيا معز العاشوري، إخراج يحي الفايدي. أما الكوريغرافيا فهي لراقصة قطب الباليه والفنون الكوريغرافية أميمة المناعي، وأداء كلّ من نزار كشو ورامي الشارني وريحانة عباس وأحمد مدوري ومريم بن يطو، وعبدالمجيب ولاتي وشيماء عوني.

انطلقت المسرحية التي قدّمت باللغة العربية الفصحى على مسرح تلحّف الظلام لتظهر الشخصيات الرئيسية مرتدية ملابس واقية من الفايروسات تقف أمام خلفيّة فيديو "مابينغ" وتصاحبها المؤثّرات الصوتية، لتبدأ الأحداث بالتواتر حتى ظهور الوحش الذي أدّى دوره الممثل رامي الشارني.

تروي المسرحية قصة كائن فضائي يرتطم بالأرض في حركة كونية غريبة أمام أعين شاب يدعى بوب، حيث يقوم العلماء بنقله إلى المخابر العلمية وإخضاعه لتجارب عديدة ليكتشفوا قدرته على التأقلم مع البشر.

وفي بيان للمنتجين أشاروا إلى أن هذا العمل قد دام التحضير له في المختبر أكثر من تسعة شهور في ظروف استثنائية، تعرضوا خلالها لمصاعب ومشاكل شتى صحية ومادية واجتماعية، إلا أنهم أصروا على مواصلة العمل إلى آخر نفس، بغية البحث عن جماليات قادرة على الإقناع وإيمانا منهم بأن الفن المسرحي يتطور عند الأزمات.

هكذا ينتمي العمل إلى كتابات الخيال العلمي، وهو توجّهٌ بات حاضرا في المسرح التونسي في السنوات الأخيرة فقط، حيث حضر في أعمال مثل "سابينس" لعصام العياري ووليد العيادي، و"الهربة" لعزيز الجبالي، و"بيك نعيش" لحسن الغربي ونوفل عزارة.

حضور الخيال العلمي في المسرح التونسي يعيدنا إلى التساؤل عما إذا كانت هذه الظاهرة مرتبطة بالواقع التكنولوجي المحتدم أم هي هروب من المسرح السياسي والاجتماعي الذي انتهجته جل الأعمال المسرحية الأخرى في تونس أم هي مغامرة تجريب؟

يعرّف الناقد المصري الراحل يوسف الشاروني الخيال العلمي قائلا إن "الخيال العلمي نوع من المصالحة بين الأدب والعلم اللذين يعتقد الكثيرون أن ثمة تعارضاً بينهما. فأحدهما يقوم على الخيال، بينما الآخر لا يقوم إلا على أساس التجربة واستقراء الواقع والانتهاء من ذلك كله إلى قوانين محددة، بل إلى صيغ رياضية كلما أمكن ذلك".

المزج بين الخيال والجانب العلمي تبلور في شكل فني مع الأدب، ولكنه تطور ليصل من المكتوب إلى البصري مع المسرح الذي يجمع مختلف الفنون وله علاقة وثيقة وقديمة مع الأدب.

ويعرف الدكتور إبراهيم حمادة المسرحية الفانتازية "الخيالية" بقوله "يقوم موضوع المسرحية الفانتازية على سرحة الخيال إلى عوالم وهمية لا تشكل الواقع، ولربما تجاوز السرحان فيها نفسه إلى آفاق الغيبات البعيدة وما فوق الظواهر الطبيعية". ويؤرخ لانطلاقة مسرح الخيال العلمي بمسرحية "الطائر الأزرق" (1908) لميترلنك. وقد تستخدم المسرحية الفانتازية نظريات في العلوم الطبيعية لم تكتشف بعد، كما يحدث- عادة- في المسرحيات العلمية، كما يمكن تحميلها مدلولات ترمز إلى واقع سياسي أو أخلاقي أو ديني.

> مسرحية «الوحش» عمل جديد ضمن نمط مسرح الخيال العلمي يؤكد توجه الكثير من المسرحيين إلى التجديد شكلا ومضمونا

إن الخيال العلمي بذلك يمثل الشكل الطبيعي لميثولوجيا عصرنا أو كما قال وليم بوروغس إنه يرى فيه "ميثولوجيا عصر الفضاء"، أي أن الرأي السابق يقارب بينه وبين الميثولوجيا الإغريقية أو الرومانية أو الفرعونية.

وفي الحالة التونسية ربما يكون الاتجاه إلى الخيال العلمي من قبل بعض الأعمال نوعا من التمرد على النمطية في المسرح التونسي، ذلك أن أغلب الأعمال اجتماعية وسياسية، خاصة ما بعد الثورة التونسية وانتعاش جو الحرية، حيث تخلى الكثير من المسرحيين عن الخيال لصالح هول الواقع وحكاياته وأحداثه التي تفاجئنا كل يوم.

وجاءت أزمة فايروس كورونا الأخيرة والرحلات الفضائية التي نجحت فيها البشرية في صف مسرح الخيال العلمي الذي يعتمد على العلم مازجا إياه بالخيال، حيث انفتحت آفاق جديدة للتفكير خارج الصندوق، وطرح إشكاليات تتجاوز الوعي الكلاسيكي والخطي، انفتاحا على وجود أكثر رحابة.

هناك من يرى أيضا أن هذا المسرح ما هو إلا هروب من الواقع المأزوم الذي تتعقد مشاكله يوما بعد يوم واتجاه إلى تفعيل الخيال الفني، في محاولة لتجاوز الواقع الذي شابه التشنج السياسي والاصطفاف الأيديولوجي والتنميط الجمالي والفكري.

جماليات جديدة يقترحها مسرح الخيال العلمي شأنه شأن المسرح الفانتازي والعجائبي، وكلها أنماط مسرحية يبدو أنها ستتطور في المدة القادمة بشكل كبير.

مسرح يعتمد الخيال